

4

قصص المبشرون بالجنة

العلمي
العظيم

سلوى العناني



التلميذ العظيم

(الإمام علي بن أبي طالب)

هذا فتى هاشمي الأبوين .

أبوه (أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف)

وأُمُّه (فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف) .

في هذا البيت الكريم قضى (النبي محمد) سنوات طويلة من شبابه وصباه .. وجد من عمِّه (أبي طالب) عوضاً عن الأب والجد اللذين فقدهما .. كما وجد قلباً الأم عند فاطمة زوجة عمه وبنت عم أبيه التي أولته حنانها ورعايتها ..

جلس (محمد) يوماً إلى الطعام مع أسرة عمِّه ، فلاحظ علامات الإرهاق على زوجة عمِّه ، فسألها إن كانت تنتظر مولوداً ؟ .. وتوجه بالحديث لعمِّه ..

- "إن كانت حاملاً أنثى فزوجنيها" .

فقال له عمه أبو طالب : "إن كان ذكرا فهو لك عبداً ..
وإن كانت أنثى فهي لك زوجة" ..

فلما جاء المولود ذكرا فرح به محمد وأسماه (عليا) .
كان (محمد) يصر دائما على أن يكون له عمل .. فهو
يأبى على نفسه أن يعيش عائلة على عمه .. فخرج يرعى
الأغنام في ضواحي (مكة) إلى أن شب ونما .. فطلب أن
يرافق عمه في رحلة التجارة إلى الشام .. وعُرف عن
(محمد) الأمانة والصلق والبر ، فأستأمنته (خديجة بنت
خويلد) على مالها ، فخرج به في تجارة ، وعاد بخير كثير فلما
رأت منه جميل الخصال تزوجته .. وانتقل للحياة معها تاركا
بيت عمه (أبي طالب) .

كان (محمد) باراً بعمه وبأسرته .. دائم الزيارة له .. مانحاً
كل حبه ورعايته (لعل) .. الفتى الصغير الذي كان شديداً
التعلق بابن عمه (محمد) .

تعرضت قريش لأزمة ومحنة .. فقال (محمد) لعمه
(العباس):

- "إن أخاك (أبا طالب) كثير العيال ، وقد أصاب الناس

ما ترى من هذه الأزمة .. فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من
عياله .. آخذ من بنيه رجلاً ، وتأخذ أنت رجلاً ، فتكفلهما
عنه " .

وضم (محمد) (عليا) إلى كنفه ..

وضم (العباس) إليه (جعفرا) .

فى بيت (محمد) عاش (على) حياةً سعيدةً .. فقد كان
متعلقا بابن عمه منذ تفتحت عيناه على الحياة .. فكم داعبه
صغيرا وكم لاعبه وعلمه وأطعمه .. وهو يتعلم منه اليوم
مبادئ الرجولة ودروس الحيلة ..

وجاء الوحي إلى (محمد عليه السلام) أن { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الَّذِي خَلَقَ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } [العلق : 1 - 2] .

دخل (على) البيت فرأى (محمدا عليه السلام) واقفا
ومن خلفه وقفت (خديجة) .. تقوم مع قيامه ، وتركع مع
ركوعه .. وسمعهما يتلوان كلاماً لم يسبق له أن سمعه ولما
انتهيا عما كانا فيه سألهما ..

- "لمن تسجدان ؟ "

فأجابه محمد :

"إنما نسجد لله الذى بعثنى نبيا ، وأمرنى أن أدعو الناس إليه".

ودعا (محمد) (عليًا) إلى الدخول فى الدين الجديد وإلى عبادة الله الواحد الذى لا شريك له ..

وقرأ (محمد) بعض ما أنزل إليه من الذكر الحكيم فانبهر (عليُّ) من سحر البيان وجمال المعنى ، ولكنه استأذن فى أن يشاور أبه فى أمر هذا الدين قبل أن يؤمن به .

قضى (عليُّ) ليلته مؤرقا يفكر فيما سمعه من ابن عمه ، وفى الصباح أعلن إسلامه دون الرجوع إلى أبيه .. وقال :
- " لقد خلقنى الله من غير أن يُشاورَ (أبا طالب) ، فما حاجتى أنا إلى مشاورته لأعبدَ الله ؟ " .

هكذا أصبح (عليُّ) ثانى من دخل الإسلام بعد خديجة .. وأول صبيٍّ يعتنقُ هذا الدين .

كانت ليلةً مقمرةً .. نسيمها طيب .. جلس (محمد) وبجانبه (عليُّ) فى الخلاء يتأملان قدرة الله فى خلق الكون

ويسجدان شكرا له على نعمائه .. فمر بهما (أبو طالب)
فسأل (محمدًا):

- "يا ابن أخي ، ما هذا الدينُ الذي أراك تدين به ؟" .
قال له (محمد) :

- "أى عم .. هذا دينُ الله ودينُ ملائكتِهِ ودينُ رسلِهِ
ودينُ أبينا (إبراهيم) .. بعثنى الله به رسولاً إلى العبادِ
وأنت أحقُّ من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحقُّ
من أجباني إليه وأعانني عليه" .

فأقسم (أبو طالب) أن يحمي ابن أخيه ما بقى حيا مهما
يكن من أمرٍ .. فلا يمسُّه أحدٌ بسوءٍ .
ثم سأل (عليًا) :

- "ما هذا الدينُ الذي أنت عليه يا بنى ؟" .
فأجابه (على) :

- "يا أبت .. آمنت بالله وبرسوله وصدقته بما جاء به ،
وصليتُ معه واتَّبعتُهُ" .
فقال أبو طالب لابنه (على) .

- "إنه لم يدْعُك إلا إلى الخير فالزمه".

ياله من أدبٍ في الحوار ، وصلقي في الإيمان من فتى صغيرٍ لم يبلغ الرابعة عشرة ... هداه فكره إلى الطريق القويم ودله قلبه على دين الصلّقي .. آمن بالنبى ولزمه كما يلزم الظلُّ صاحبه .. يحفظ عنه التنزيل ، ويأخذ منه الحديث والعمل .. يدافع عنه في القتال ، وينصره على أعدائه في السلم .

حفظ الله (عليا) فلم ينحن لصنم أبداً .. لم ينحن لغير الله - فكرمَ الله وجهه - وكان أولَ من أسلمَ من الفتيان وأولَ من صلى خلف النبي - فكرمَ الله وجهه - .
عرف عنه الوسامة والملاحة وقوة البدن وفصاحة اللسان والبلاغة والبيان .. كان محاوراً ذكياً قوى الحجة جذاب الحديث .. أعطاه الإيمان ثقةً بنفسه وبربه فحافظ على مكارم الأخلاق ، وكان أشدَّ الناس قرباً من رسول الله عليه السلام .

وتمضى الأيام بالمسلمين في (مكة) يعانون اضطهاد الكفار وتعذيبهم لهم وتجويعهم وترويعهم .. فهاجر

بعضُهم إلى (الحبشة) وبعضُهم إلى (يثرب) فرارًا بدينهم
من هذا البطشِ .. هاجروا متفرقين حتى لا يُلْفَتوا نظرَ أحدٍ
إليهم .

لكن قريشا كانت تخشى من هجرة النبي .. فهجرته
تعنى انتشار دعوتِهِ وقوة أتباعِهِ وتدعيم أنصارِهِ .

واجتمع أقطابُ الكفر وأركانُ الوثنية .. يفكرون في
وسيلةٍ للتخلص من صاحبِ الدعوة .. كبدايةٍ للقضاء على
الدعوة .. وتفتق تفكيرُهم الشيطاني عن وسيلةٍ تحقق
غرضَهم وتُريحهم من متاعبِ هذا الدين الجديد ..

وكانت مؤامرتُهم تتلخص في أن يختاروا من كل قبيلةٍ
فارسا قويًا مسلحًا .. ثم يشترك هؤلاء جميعًا في قتلِ محمدٍ ..
ويتفرق دمُه بين القبائلِ .. ويرضى أهله بالدية .

وصلت أخبارُ المؤامرة إلى النبي .. وكان عدوٌ كبيرٌ من
أصحابه قد هاجروا إلى (يثرب) .. إلا أن (محمدًا) كان ينتظرُ
أن يأذنَ الله له بالهجرة ..

وجاء الإذنُ بالرحيلِ .

وكان لابد من الخديعة لتأمين رحيل النبي الكريم الذي
اختار موعداً غير مألوف .. وخرج من باب خلفي لبيته
ودعا (علياً) إلى النوم مكانه والتدثر ببردته الخضراء ليُوهم
من يتلصصون على الدار بأن (محمداً) مازال نائماً ..
وتكون الفرصة كافيةً لابتعاد المهاجرين عن (مكة) في
الطريق إلى (يثرب).

ياله من شجاعة .. أن يقبل الفتى النوم في موضع يعلم
أنه هدف لعصبة من المسلحين المتربصين !

ياله من ثقة عظيمة بالله .. ملأت قلباً (علياً) فجعلته
يقبل على هذا العمل الفدائي !

ويا له من إيمان صادق ثابت عميق ! .

وكانت مفاجأة لهؤلاء الفرسان المتربصين بالنبي عندما
اكتشفوا أن النائمة تحت البردة لم يكن (محمداً) بل كان
(علياً) .. الفتى الذي لم يبلغ العشرين من عمره ..

قضى (علياً) ثلاث ليل في (مكة) أدى فيها الودائع
التي كانت مع النبي إلى أصحابها .. ثم شد رحاله إلى
يثرب ليلحق بالنبي وصحبه من المهاجرين .

كانت (فاطمة) بنتُ محمد عليه السلامُ من السيلةِ
خديجةَ رضى الله عنها قد بلغتُ سن الزواج .. وتمنى كل
مسلم أن يرتبط بها ليكون له شرف مصاهرة أكرم خلق
الله .. وكان النبي يسكت عن كل راغب فى هذه المصاهرة
إلى أن جاء (على) بهذا الطلب .. فسُرَّ الرسول ، ووافق
على تزويجها إياه على مهر قدره أربعمئة مثقال فضة .

وفى ليلة زفاف (فاطمة) على (على) أهداهما الرسول
عليه السلام بساطا من صوف أبيض وقال لابنته :

- "والذى نفسى بيده لقد زوجتك فتى سعيداً فى الدنيا
وإنه فى الآخرة لمن الصالحين" .

سأل النبي يوماً :

- يا (على) .. كيف أنت إذا زهد الناس فى الآخرة
ورغبوا فى الدنيا وأكلوا التراث أكلاً لما وأحبوا المالَ حبا
جماً؟

قال (على) :

- "أتركهم وما اختاروا ، وأختار الله ورسوله والدارَ
الآخرة وأصبرُ على مصيبات الدنيا وبلواها حتى ألحقَ بك

إن شاء الله تعالى " ..

قال الرسول :

- " صدقت .. اللهم افعل ذلك به " .

قدّس (على) العمل .. ولم يستنكف منه بسيطا أو متواضعا .. فكان يغزل الصوف .. ويسقى الحقائق لأصحابها ويتاجر أحيانا في السوق ..

إلا أن الحرب والجهاد في سبيل الله كان أعظم ما قام به (على) فقد شارك الرسول في أغلب الغزوات ، وكان فتى القتال ورجل المواقف .

ويمرض النبي عليه السلام مرضه الأخير في حياته ... وتشتد عليه الحمى .. وتتعدّر عليه الصلاة بالناس فيأمر (أبا بكر) ليتولى الإمامة ...

ويبقى (على) إلى جوار النبي يلازمه ، ويحاول أن يخفف عنه إلى أن تتحسن صحته ، فيخرج إلى المسجد معتمداً على ولدي عمه (على بن أبي طالب) و (الفضل بن العباس) . ويشارك الناس الصلاة ويخطب فيهم ... ويفرح

المسلمون لخروج نبيهم للصلاة ويظنون أنه قد شفى .. ويعود كل إلى عمله .

إلا أنها كانت صحوّة الموت .. فقد قبض النبي في هذا اليوم ... الثامن من يونيه (630م) .

ويقف (عليّ) على تجهيز النبي ومعه (العباس بن عبد المطلب) وولداه (الفضل) و (قثم) و (أسامة بن زيد) مولى رسول الله وظلّوا إلى جواره حتى أنزلوه قبره بعد أن ودّعه صحابته والأقربون وجمع هائل من المسلمين .

اعتكف (عليّ) في منزله لا يغادره إلا لصلاة الجماعة وأقسم إلا يبارحه حتى يفرغ من جمع القرآن كما تعلمه من رسول الله ..

ولما انتهى من هذه المهمة المقدسة خرج من بيته فباع (أبا بكر) خليفة المسلمين وظل إلى جواره .. يفتيه ويعطيه المشورة ..

وكان يوم (عليّ) يتوزّع بين قراءة القرآن وتدبّره .. ثم الخروج إلى الصلاة .. ما إن يفرغ منها حتى يتخذ لنفسه مكاناً في المسجد .. فيجيب على أسئلة الناس .. ويفتي من

يسأله .. ويفسر القرآن .. وكان يقول للناس :

- "اسألوني" .

ومن أقواله كرم الله وجهه :

"من كساه الحياءُ ثوبَهُ لا يرى الناسُ عِيَّهُ" .

"من أصبح على الدنيا حزيناً فقد أصبح لقضاء الله
ساختاً" .

"العفافُ زينةُ الفقرِ .. والشكرُ زينةُ الغنى" .

ولما مات (أبو بكر) وتولى عمرُ بنُ الخطابِ الخلافةَ
واصل (علي) رسالته في المشورة والفتوى وإرشاد الناسِ
والحكم في القضاء .. وكان (عمر) يأنس لرأيه وفتياه .. فإذا
ما نصحه بغير ما يرى أخذ بنصيحته ، ثم يطلق صيحته
المشهورة :

- (لولا عليٌّ لهلك عمر) ...

ثم كان اغتيالُ أمير المؤمنين (عثمان بن عفان) بدايةً
عهدٍ من الفتن والصراعات .. وجاء الإمامُ (علي) كرم الله
وجهه ليتحمل مهمة شاقةً وخطيرةً ... فقد ظهر الخوارجُ

فى العراق وأعلن أهل الشام التمردَ وانقسم المسلمون
وتعددت بينهم الصدامات العسكـرية .

كان فجر الجمعة الثامن عشر من رمضان فى العام
الأربعين للهجرة عندما ارتفع الصوت الندى القوى يوقظ
الناس فى طرقات الكوفة .. إنه صوت الإمام (على) .

كانت فرحة الإمام بالذهاب إلى المسجد .. ومعها هذه
النسمات الندية تجدد فى داخله إحساسا بالقوة والفتوة ..
فها هو ذا فى طريقه إلى أحب الأماكن إلى قلبه حيث يؤدى
أحب الأعمال إلى قلبه .. وعند باب المسجد .. وقبل أن
يخلع الإمام (على) نعليه .. داهمه آثم مجرم فشج رأسه
بسيفٍ مسموم .

ويقاد المجرم القاتل إلى الإمام .. فينظر إليه وكأنه يذكره
بعدد المرات التى أكرمه فيها ويقول :

- "أحسنوا نُزُلَه ، وأكرموا مثواه ، فإن أعشُ فأننا أولى
بدمه قصاصا أو عفوا ، وإن أمت فألحقوه بى أخاصمه عند
رب العالمين ، ولا تقتلوا بى سواه ، إن الله لا يحب
المعتدين " ..

هكذا كان الإمام (عليّ) حتى لحظاته الأخيرة حريصا
على حدود الله ، حريصا على وحدة الأمة ، كارها لإراقة
الدماء .

فماذا كانت وصية (عليّ) لبنيه ؟

أوصيكم بتقوى الله ربكم ، ولا تموتنّ إلا وأنتم
مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، فإني
سمعت رسول الله عليه السلام يقول ..

"إن إصلاح البين أفضل من الصلاة والصيام" ..

وما إن مالت شمسُ نهار اليوم التالي (السبت) حتى
صعدت روحُ الإمام (عليّ) إلى بارئها راضية مرضية .